الفصل الرابع

في مجال الأسرة

obeikandl.com

obeikandl.com

١ ــ رد على مستمع : حول وضع المرأة فى الاسلام

(أ) ورد خطاب من مستمع بلجيكى ، ذكر فيــه أنه يرى : أن الاسلام ينتهج سياسية عنصرية ضد المرأة ، ويبدو من تصوره هــذا أنه يترجم عن الحالة الموجودة الآن فى كثير من المجتمعات الاسلامية ، وأحب أن ألفت نظر المستمع أولا ، الى أن الاسلام لا يؤخذ من واقع المجتمعات الاسلامية المعاصرة ، لأن معظم ما فيها اليوم من عادات وتقاليد ليست اسلامية محضة ، فهى تحمل فى كثير من جوانبها معالم غير اسلامية ، دخلت هــذه المجتمعات فى عصور الضعف والانحلال .

ومن المسلم به فى علم الاجتماع ، أن المجتمعات عندما تمر بمرحلة ضعف ، أو عندما يعتريها خلل فى بنائها الاجتماعى ، تتسرب الى أخلاقها عادات وتقاليد غريبة عن تراثها الأصلى ، بل قد يصل الأمر أحيانا ــ بعد مرور فترة من الزمن على دخول هذه الظواهر الغريبة ــ الى البحث عن مبررات لوجود هذه الاتجاهات الطارئة فى داخل التراث الأصلى ، وهذا هو ما حدث فى كثير من المجتمعات الاسلامية .

أصابها الضعف فترة طويلة استمرت قرونا : فدخلت اليها عادات وتقاليد لا يعرفها الاســلام ، ثم لمــا طال الزمن على هــذا الدخيل ، وباشرته أجيال لم تر ما كان ســائدا فى عصور القوة ، حاولت تبرير ما تمارسه وتقنينه ، فاندفعت الى البسه ثوبا دينيا ، والدين منه براء .

ولبيان هذه القضية ، أسوق لك نظرة الاسلام الى المرأة ، وعليك أن تقارنها بما شاهدته ، أو قرأته ، مما أوحى اليك بهذه الصورة التى عبرت عنها فى خطابك ، وسوف تجد فرقا كبيرا بين ما يكتب عن الاسلام فى الغرب وبين الواقع الحقيقى للتعاليم الاسلامية ، كذلك سوف تجد بعدا واضــحا بين ما تراه فى بعض المجتمعات الاسلامية ــ ان كنت قد شاهدتها بعينك ، أو تخياتها مما يكتب لك عنها ــ وبين ما أمر به الاسلام فيما يتعلق بوضع المرأة فى المجتمع .

وسوف يكون منهجى فى عرض وضع المرأة فى الاسلام تقليديا ،

بمعنى أنى سوف أشرح لك رأى الاسلام فى خلق المرأة مقارنا بما جاء عن هذا الموضوع فى الأديان الأخرى ، ومدى قدرتها على تحمل المسئولية ، وحقها فى التمتع بالحياة ، وأهليتها فى المشاركة فى جميع مناحى الأنشطة الاجتماعية ، وأخيرا نعرض لك رأى الاسلام فى الزواج والطلاق وتعدد الزوجات .

أما عن خلقها ، فقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك فقال : **« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها »**[1] ..

أى أن المرأة مخلوقة من نفس المادة التى خلق منها الرجل ، فهما متساويان فى مصدر الخلق ، وهذه فكرة صحح بها الاسلام التصور السابق عليه من أنها خلقت من ضلع آدم كما ذكر ذلك العهد القديم .

ذلك أن خلقها من ضلع آدم يفيد أنها جزء منه ، والجزء تابع للكل ، وأقل قيمة منه ، فنص العهد القديم يعطى ايحاء بأنها فرع فى الخلق ، وليست أصلا ؛ أما القرآن الكريم ، فقد وضعها فى هذا المجال بجانب الرجل ، فوق درجة واحدة ، فهى من نفس المادة التى خلق هو منها ، فهى متساوية معه فى الخلق .

فاذا انتقلنا من هذه النقطة الى تصور آخر ، مرتبط بها مشهور عند جميع السلالات البشرية ، ألا وهو : تحديد مرتكب الخطيئة الأولى ، لوجدنا أن المجتمعات البشرية تعتقد أن حواء مسئولة عنه ، وقد عبرت التوراة عن هذا المعنى ، فجاء فى سفر التكوين : « ان حواء أكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل ، فلما سأله الله عما اذا كان قد أكل من الشجرة ، التى حرم عليه الأكل منها ، أجابه بقوله : « المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت » .

---

(١) النساء : ١

فكأنه يريد بذلك أنها ضعيفة الارادة ، فسقطت أولا فى الغواية ، ولم تلتزم بما حدد لها فخرجت عنه لأنها ضعيفة لا تستطيع التحكم فى رغبتها .

أما القرآن الكريم فينسب الخطيئة اليهما معا ، فهما متضامنان فى تحمل المسئولية ، اقرأ قوله تعالى : « **فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه** »(٢) ..

بل هناك آية نصت على أن الشيطان وسوس الى آدم فقط ، يقول تعالى : « **فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى** »(٣) ..

ولا شك أن تبرئة القرآن الكريم للمرأة على هذا النحو ، يرفع عنها لعنة لحقتها عبر القرون ، اذ كان ينسب اليها الغواية فى كل مناسبة ، ويرفع عنها سبة الضعف المطلق والانهيار السريع أمام الغواية اذ أشرك معها الرجل فى هذا المجال ، ولا يخفى تأثير هذا الاتجاه على وضعها فى المجتمع ، ونكتفى بهذا القدر اليوم على أن نواصل بقية الحديث فى المـرة القادمة .

* * *

(ب) بعد أن بينا لك فى الحديث السابق جانبا من مساواة الاسلام بين المرأة والرجل فى الخلق ، وفى تحمل المسئولية ، نواصل حديثنا اليوم حول هذه المساواة .

فانطلاقا من تصور المساواة بين الرجل والمرأة فى تحمل المسئولية ، نهج الاسلام منهج المساواة بينهما فى التكاليف ، وفى الثواب والعقاب ، فما يطلب من الرجل ، يطلب من المرأة ، وما يجازى به الرجـل — أو يعاقب — تجازى به المرأة على حد سـواء ، يقول الله تعالى : « **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا** »(٤) ..

---

(٢) البقرة : ٣٦ .
(٣) طـه : ١٢٠ .
(٤) النساء : ١٢٤

ويقول : « **فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض** »[٥] ..

فأين هذا مما جاء فى الاصحاح الثلاثين من سفر العدد ، أن المرأة ليس من حقها أن تنذر شيئا — وهذا تعبير عن القيام بالعبادات — الا باذن أبيها ، فان لم يوافق لم ينفع نذرها ، بخلاف الرجل فلا يحتاج لهذا الشرط ، فاذا قارنا بين هذا النص ، الذى ورد فى التوراة ، وبين نص القرآن الكريم ، الذى ذكرناه سابقا لوجدنا أن الاسلام أعطاها حرية العمل دون الرجوع الى أحد ، لأن مسئوليتها مسئولية شخصية بحتة .

كذلك أباح الاسلام لها التمتع بالحياة ، فلم يحرم عليها شيئا أحله للرجل فلها أن تملك ملكية خاصة ، فلا يجوز للرجل — زوجا كان أو أبا — أن يتدخل رغم أنفها فى ادارة أملاكها ، فهى حرة التصرف فى ذلك ، لا وصاية عليها ولا حجر على تصرفاتها .

كما أن لها أن تلبس وتتزين مثل الرجل ، بل لها امتياز خاص فى هذا المجال . اذ أحل الاسلام لها لبس الحرير الخالص ، وحرمه على الرجل ، وسمح لها بالتحلى بالذهب دون حدود ، وحرم ذلك على الرجل ، أما حقها فى التمتع بكل ما تقع عليه العين مثل الرجل ، فيتجسد فى طلب الاسلام من الرجال أن يتزينوا لنسائهم ، كما يتزين لهم ، اذ ورد فى الحديث ، أن الرسول أوصى الرجال بذلك قائلا لهم : « انهن يحببن أن يرين منكم ، كما تحبون أن تروا منهن » .

أما أهليتها فى أنشطة الحياة المختلفة ، فقد أباح الاسلام لها أن تباشر جميع الأنشطة فى مجالات الحياة المختلفة ، فلم يحرم عليها عملا من الأعمال ، ولم يضع قيودا على اسهامها فى أى مجال من مجالات العمل خارج المنزل الذى تخصصت فيه ، ونتيجة لهذا الموقف الاسلامى منها فقد أسهمت فى صدر الدولة الاسلامية فى كل مجال استطاعت أن تنجز فيه شيئا .

---

(٥) آل عمران : ١٩٥

فاشتركت فى معارك القتال ، فقد روى أنها قاتلت مع رسول الله ﷺ جنبا الى جنب ، ولم تغب عن الاجتماعات التى كان يعقدها رسول الله فصلت معه فى المسجد ، وسمعت منه الدرس والوعظ والتوجيهات ، كما أنه كان لها دور كبير فى رواية الحديث ، وتقلدت مناصب عليا فى مجال التعليم فيروى أنها ألقت الدروس والمحاضرات ، ويحكى التاريخ عن احداهن فيذكر أن تلاميذها الذين كانوا يحضرون دروسها بلغ عددهم خمسمائة ما بين طالب وطالبة .

كما يقص علينا ابن خلكان — وهو من أكبر علماء السير التاريخية — عن احداهن فيقول : انه درس عليها ، وانها أشرفت عليه فى كتابة الماجستير ، ومنحتها له .

أليس هذا دليلا على أن الاسلام سوى بينها وبين الرجل ، وعرف المسلمون الأوائل ذلك ، فاعترفوا لها بالقدرة على تولى المناصب ، وأفسحوا لها مجالات فى مختلف أنشطة الحياة ، وكان لها نصيب وافر فيها .

ولا تنسى أن هذا كان فى العصور التى كانت المرأة فيها لا تملك حتى نفسها فى المجتمعات الأوروبية ، ولم يهملها الاسلام فى تقنين أسس الزواج ، فأعطى لها الحرية فى اختيار شريك حياتها بنفسها ، ولم يعط أحدا — مهما كانت علاقته بها — حق اجبارها على الاقتران برجل لا تحبه ، فقد روى عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : « الأيم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستئذن ، واذنها صماتها » ..

كما روى أن فتاة جاءت الى رسول الله ﷺ ، فذكرت أن أباها زوجها ، وهى كارهة ، فخيرها النبى ﷺ بين فسخ العقد وبين بقائه ، فاختارت بقاءه معللة شكواها بأنها أرادت أن تبين لبنات جنسها أنه ليس لأحد الحق فى ابرام عقد زواجها بدون رضاها .

كما يعطيها الاسلام الحق فى فسخ الزواج ، اذا رأت فى زوجها بعد زواجها ما ينفرها منه ، فقد جاءت امرأة الى رسول الله ﷺ ، فقالت له : نظرت من تحت الخباء يوما ، فرأيت قيسا — وكان زوجا لها — قادما

مع القوم ، فرأيته أقصرهم وأقبحهم ، وانى أكره الكفر فى الاسلام — أى أنها لا تريد أن تعيش معه وهى كارهة له فيحملها كرهها له على عدم المعاشرة الحسنة ، التى يأمرها بها الاسلام ..

فقال لها رسول الله ﷺ : أتردين عليه حديقته ؟ وكانت قد أخذتها هدية من زوجها فقالت : نعم وأكثر ، فقال لها رسول الله : « لا بل حديقته فقط » فردتها له ، وطلقت منه .

فهذه الحادثة تصور لنا مدى الحقوق التى أعطاها الاسلام للمرأة فى أن تختار أسلوب حياتها بنفسها ، فحكم بطلاقها من زوجها لمجرد أنها لم تر فيه من الجمال وحسن الصورة ما يدخل السرور على نفسها .

وهذه ناحية نفسية لم يحرم الاسلام المرأة مما ترى أنه يريحها ، فكيف يقال انه انتهج سياسة عنصرية ضد المرأة لصالح الرجل ؟ ونكتفى بهذا القدر اليوم على أن نواصل الحديث فى المرة القادمة عن الجانب الايجابى لها فى مسألة تعدد الزوجات .

* * *

(ج) بعد أن حدثناك فى حديثين سابقين عن صور المساواة بين الرجل والمرأة فى الاسلام . نتناول معك اليوم فى خاتمة ردنا على سؤالك موضوع تعدد الزوجات :

فليس صحيحا ما يشاع من أنه — أى تعدد الزوجات — نظام ابتدعه الاسلام ، ذلك أنه ظاهرة اجتماعية موجودة فى جميع العصور الا أنها تختلف فى التسمية من عصر لآخر ، فحيث يحرم التعدد قانونا ، يظهر تحت أسماء أخرى مثل : الصديقات ، أو الخليلات ، أو العشيقات ، أو يسرى فى المجتمع تحت ستار الحرية الشخصية ، التى تبيح بصورة أو بأخرى تبادل الزوجات ، أو الاقتناع بأن الاستمتاع بما يمكن الاستمتاع به جائز ، مادام برضا الطرفين — الذى يمنع القانون من التدخل لمنع ذلك —

ويصبح هذا بمرور الوقت ظاهرة لا يستنكرها المجتمع فمن يحاول الاعتراض عليها يوضع فى عداد المتخلفين عن ركب الحضارة الحديثة •

وليس من المعقول أن يعد هذا سمة من سمات تقدم المرأة ، كما أنه ليس من المسلم به أن وجود هذه الظاهرة فى المجتمع يعود على المرأة — ككل — بالفائدة ، اذ أن كثيرا من النساء فى هذه المجتمعات يعشن فى مهانة وابتذال يحط من قدرهن بين أخواتهن اللاتى يرتبطن برباط الزوجية ، فاباحة تعدد الزوجات ، هو احدى وسائل تحرير المرأة من هذا الابتذال ، اذ يأخذ بيدها من هذه الحياة الكئيبة المهينة الى حياة زوجية كريمة ، وأمومة فاضلة ، تحس تحت ظلالها بالعزة والطهارة والشرف •

ونرى من ناحية أخرى ، أن تعدد الزوجات ضرورة اجتماعية لصالح المرأة ، ذلك أننا لو فرضنا أن مجتمعا يزيد عدد الرجال فيه على عدد النساء ، لاختفت ظاهرة التعدد من الناحية العلمية ، لأن المرأة الثانية سوف ترفض الاقتران برجل متزوج بأخرى لأنها تعتقد أن فى امكانها الحصول على رجل يكون لها وحدها ، لأنه ما دام عدد الرجال أكثر من عدد النساء ، فسوف تحصل لا محالة على هذا الرجل وكذلك لو كان عدد الجنسين متساويا •

أما اذا كان عدد النساء أكثر من عدد الرجال ، فان الوضع بالنسبة للعدد الفائض يفرض عليهن أحد حلول ثلاثة : الرهبنة ، بمعنى الاستغناء عن مباشرة الحياة الجنسية ، وهو أمر لا تستطيع كل واحدة الالتزام به لأن الجنس غريزة لا يقوى كل انسان على كبتها ، فان استطاع عدد منهن — وهو بلا شك نسبة قليلة جدا — الرهبنة فسوف تعجز عنه الأغلبية•

فما هو الحل البديل المتاح لهن ؟ أيسمح لهن المجتمع بأن يقتنصن الأزواج من زوجاتهم لقضاء ساعات معهم بعيدا عن أعين الناس ثم ينصرفن ذليلات كسيرات ، أم يبيح لهن الاقتران بأزواج اقترانا قانونيا أمام الناس ، ويكون لهن ما للزوجات الأول من حقوق والتزامات ؟

وما هو الأكرم للزوجة الأولى ؟ •• أأن تكون مخدوعة فى ظل نظام

الزوجة الواحدة حيث يظهر لها زوجها أنها الوحيدة فى حياته بينما يخونها مع عشيقته فتكون حياتهما قائمة على أسس لا أخلاقية ؟ أم يكون من الأفضل لهما نفسيا أن تستمر حياتهما على أسس سليمة ، وذلك بأن تعرف الزوجة علاقة زوجها القانونية بالزوجة الأخرى فلا تشعر يوما بأن فى حياتهما جانبا لا يمكنها الاطلاع عليه فتهدأ نفسها بهذا الوضوح فى علاقتهما وارتباطهما الروحى حتى وان كان الزوج ليس لهـــا وحدها ، بل يشاركها فيه امرأة أخرى ؟ .

وهل يكون من الأفضل للمرأة الأولى أن يطلقها الرجل ليتزوج غيرها ان كانت عقيما أو عندما تصاب بمرض يتعذر عليها معه القيام بواجباتها كزوجة ، أو يبقيها تحت رعايته ويتزوج غيرها لتقوم بما عجزت هى عن القيـــام به ؟

ومن هذا كله يبدو أن تعدد الزوجات هو لصالح المرأة قبل أن يكون وسيلة لاشباع رغبة الرجل ، كما أنه فى صالح المجتمع ككل ، لأن تحريم التعدد يضع العدد الزائد من النساء فى موضع يجعلهن مصدرا لاشاعة الفحشاء والمنكر ، فالتعدد علاج ووقاية .. علاج للأمراض التى قد تصيب العانسات منهن ، ووقاية للمجتمع من أن تنتشر فيه ظاهرة الخليلات والعشيقات ، وهى ظاهرة تهدد الأسر بالتفكك والانحلال .

وظاهرة الاتصال الجنسى قبل الزواج المنتشرة فى بعض المجتمعات بقصد دراسة الطرفين بعضهما البعض ، لا يقرها الاسلام ، لأنها ليســت فى صالح المرأة ، فهى لا تملك أى حق عند الرجل فى هذه الفترة ، بينما يمكنهما فى ظل النظام الاسلامى أن يدرسا بعضهما ، فان وجدا نفورا بين طباعهما فمن السهل أن يفترقا بالطلاق . وفى الوقت نفسه تحفظ للمرأة حقوقها اذا نتج شىء من هذه العلاقة الزوجية ، بخلاف الوضع فى ظل العلاقة الجنسية الحرة .

هذه فكرة مختصرة عن وضع المرأة فى الاسلام ، ولعل الظروف تسمح لنا فيما بعد لنعطيك فكرة تفصيلية ، عن رأى الاسلام فى قضيـــة المساواة بين المرأة والرجل من جميع جوانبها .

* * *

٢ — مساواة المرأة للرجل فى الخلق

كثر الحديث فى المجتمعات الاسلامية عن وضع المرأة بالنسبة للرجل ، فغلا كثير من الكتاب فى دعوتهم الى حريتها وانطلاقها ، بينما ضن آخرون عليها بكل شىء ، فلم يعترفوا لها بأى جانب من جوانب الممارسة الاجتماعية خارج منزلها ، اذ نادوا بأن مكانها البيت فلا ينبغى لها أن تغادره ، كما لا يجوز لها أن تباشر أى عمل فى المجتمع مهما كانت قيمة هذا العمل من الوجهة الاجتماعية ، وبين طرفى هذين الرأيين ، وجدت آراء أخرى ، تأرجحت بين التفريط والافراط ، ولذا فسوف نبين هنا حقيقة وضع المرأة فى المجتمع ، متخذين القرآن الكريم والسنة النبوية قاعدة لكل ما يتعلق بها ، حتى نجلو للقارىء حقيقة وضعها فى نظر الاسلام •

● ومن أين نبدأ ؟

— سوف نبدأ من بدء الخلق ••

● ولم ذلك ؟

— لنبين حقيقة خلقها ، ولنلقى الضوء على المادة التى خلقت منها •

● وما السر فى هذا ؟

— السر فى هذا ، هو أن نبين ان كان هناك اختلاف فى الخلق يترتب عليه تفضيل الرجل على المرأة أم لا ، ولنوضح موقف القرآن الكريم فى مسألة الخلق ، ومخالفته للكتب المقدسة الأخرى ، وبيان ما ترمز اليه هذه المخالفة بالنسبة لوضع المرأة فى المجتمع •

● معنى ذلك أنك ستتناول مسألة خلق آدم وحواء ؟

— نعم •• فانك اذا قرأت القرآن الكريم ، فلن تجد ذكرا لاسم حواء اطلاقا ، كما ذكرت ذلك الكتب المقدسة الأخرى ، بل ذكر اسم آدم فقط ، ثم أطلق على المرأة الأولى التى خلقها الله اسم « زوج » يقول

الله تعـالى . « **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها** »[١] ..

ويقـول : « **هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسـكن اليها** »[٢] ..

ويقـول : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا** »[٣] ..

● وما الحكمة فى أن القرآن الكريم لم يطلق اسـما على المرأة الأولى ، واكتفى باطلاق لفظ الزوج عليها ؟

— الحكمة يعلمها الله وحده ، ولكننا اذا بحثنا فيما كتبه المفسرون حول هـذه الآيات ، فسوف نجد معانى تشـير الى روح الاسلام فى نظرته الى المرأة ، والى الأسرة الانسانية جمعاء . فمثلا يقول الطبرى : « خلق الله الناس كلهم من أب واحد وأم واحدة ، ومن هنا فالكل تربطهم صلة القرابة والنسب »..

فهذه اشارة من الطبرى توضح أن الاسلام يدعو الناس الى أن يتعاونوا فيما بينهم على الخير ، كما يتعاون أهل الأسرة الواحدة الذين يقفون على قدم المساواة .. لا يتعالى فرد على آخر ، ولا يدعى أحد بأنه مخلوق من مادة أخرى أسمى من المـادة التى خلق منها غيره .

● ولكنى سمعت أن بعض المفسرين ، يذهبون فى تفسير هـذه الآيات الى أن الله خلق حواء من ضلع آدم ، ويعتمدون فى هذا على حديث رواه أبو هريرة ، ونص فى هذا الحديث أن النبى ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فاذا شـهد أمرا فليتكلم أو ليسكت ، واستوصوا بالنساء خيرا ، فان المرأة خلقت من ضلع ، وان أعوج شىء فى الضلع أعلاه ، ان ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج .. استوصوا بالنساء خيرا » (صحيح مسلم : كتاب الرضاع) .

— لا أريد الخوض فى بيان هذا الرأى، وتوضيح الدوافع التى دعت

---

(١) النساء : ١ .
(٢) الأعراف : ١٨٩ .
(٣) الروم : ٢١ .

الى ظهوره ، نظرا لضيق الوقت المخصص لنا ، ولكن أحب أن أذكر هنا آراء المفسرين القدامى منهم والمحدثين تبين عدم أفضلية الرجل على المرأة فى مسألة الخلق ، فقد ذكر الرازى : أن أبا مسلم الاصفهانى قال : « لم يخلق الله المرأة من آدم ، انما خلقها من نفس المادة التى خلق منها آدم » ••

وجاء فى تفسير المنار أن النفس الواحدة كانت جامعة لأعضاء الذكورة والأنوثة كالدودة الوحيدة ، ثم ارتقت فصار أفرادها زوجين ، فقوله تعالى : « **خلقكم من نفس واحدة** »(٤) هذا اجمال فصله ببيان كونه خلق من جنس تلك النفس زوجا لها ، وجعل النسل من الزوجين كليهما •

ويقول الشيخ شلتوت :

« ان القرآن الكريم حينما تحدث عن الأصل ، الذى تفرع منه الانسان جعل المرأة شريكة فيه للرجل ، ومن مجموعهما تعددت القبائل والشعوب ، وانتسبت الأفراد بالبنوة لكل من الرجل والمرأة ، وبذلك كان الرجل أبا ، وكانت المرأة أما ، واعتبر القرآن الكريم ذلك نعمة على الانسان توجب عليه الشكر ، وتوجب عليه تقوى الله ومراقبته ، وتوجب عليه النظرة المستقيمة الى أخيه الانسان الذى يشاركه فى معنى الانسانية ، وفى نسبته الى أصله الذى تكونا منه » •

ومعنى هذا أنه لا تفاضل بين المرأة والرجل من جانب الانسانية ، وأن التفاعل انما يكون بما يكتسبه كل منهما من الخلال التى ترقى بصاحبه الى مستوى انسانى أفضل •

* * *

(٤) النساء : ١ .

٣ — عدم اختلاف طبيعة المرأة عن طبيعة الرجل

تحدثنا فى الأسبوع الماضى عن « قضية الخلق » فبينا أن اخبار القرآن الكريم بهذا الحدث جاء على وضع يبين لنا أن المرأة لا تختلف عن الرجل فى مادة الخلق ، بما يوضح عدم تفضيل الرجل عليها فى هذا الجانب .

واليوم أريد أن أوضح لك نقطة أثرتها فى الحديث الماضى ، ألا وهى استشهادك بأن بعض العلماء يرى أن المرأة خلقت من ضلع أعوج ، ويستدل بعض الناس بهذا الرأى على أن المرأة تختلف سلوكيا عن الرجل ، وهذا الاختلاف راجع الى طبيعة خلقها من هذا الضلع الأعوج .

● نعم .. فهذه قضية مشهورة بين العامة والخاصة ، ويستشهد بها دائما عند بيان عدم استقامة المرأة ، وجنوحها الى التمرد وعدم الطاعة .

— يجب أن تعلم أن القرآن الكريم لم يذكر شيئا عن حكاية الضلع الأعوج هذه ..

● فمن أين جاءت هذه القصة اذن ؟ وكيف اشتهرت بين الناس ؟

— جاءت هذه القصة من التوراة . فقد ذكر فيها أن الرب بنى الضلع التى أخذها من آدم امرأة ، وأحضرها الى آدم ، فقال آدم : هذه الآن عظم من عظامى ، ولحم من لحمى ، هذه تدعى امرأة ، لأنها من امرىء أخذت .

● اذا كان مصدر هذه القصة التوراة .. فكيف اشتهرت ؟ .

— لقد تضافرت عوامل عدة ، فساعدت على شهرتها وانتشارها فى المجتمع الاسلامى أذكر لك منها ما يلى :

أولا : دخل كثير من اليهود والنصارى الاسلام ، والمعروف أنهم لم يتخلصوا كلية من ثقافتهم السابقة ، بل ظلوا يرددونها ، خاصة وأن القرآن الكريم أخبر عن خلق حواء بأسلوب موجز ، ولم يدخل فى التفصيلات .

ثانيا : عناصر القصة فى التوراة مادية محسوسة ، وجماهير الناس مولعة بالمادى المحسوس ولذلك وعتها ، فرددتها جيلا بعد جيل .

ثالثا : لما كانت القصة فى القرآن الكريم موجزة ، احتاج المفسرون فى بيانها الى الرجوع الى مصادر أخرى ، ينقلون منها التفصيلات ، فنقل بعضهم ما جاء فى التوراة حول هذه القصة ، وهو ما سمعته أنت وعبرت عنه فى الأسبوع الماضى بأن بعض المفسرين يرون أن حواء خلقت من ضلع .

اذا تدبرت هذا كله ، أدركت أن القرآن الكريم ، لم يشر أدنى اشارة الى تفضيل الرجل على المرأة فى مسألة الخلق .

● هناك أمر آخر يتعلق بموضوعنا ، ألا وهو الخطيئة الأولى ، اذ أن كثيرا من الناس يعتمدون فى هجومهم على المرأة بأن حواء هى التى أغوت آدم ، فحملته على عصيان أمر الله ، بالأكل من الشجرة ، التى حرم الله عليهما الأكل منها ، فما رأيك فى هذا ؟

— المعروف والمشهور بين الناس ، أن حواء وقعت تحت غواية الشيطان ، فأكلت من الشجرة ، ثم أغوت هى آدم فأكل منها ، ولذا شاع بين الناس أن المرأة هى أداة الشيطان وبسببها خرج آدم من الجنة ، اذ لو لم تخر قواها أمام الشيطان ، ما نجح الشيطان فى غواية آدم ، وبالتالى ما خرج من الجنة ، فشقاء بنى الانسان كان بسببها .

هذا ما يشاع بين الناس ، ولكن ينبغى ان تعلم أن القرآن الكريم ليس مصدر هذه المعلومات ، بل سببها ما ذكر فى التوراة من أن الشيطان أغوى حواء فأكلت من الشجرة ثم أعطت آدم فأكل منها ، ولذا تذكر التوراة أن الله حين قال لآدم : هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك ألا تأكل منها ؟ .. رد عليه قائلا : المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت .

فالتوراة نسبت الخطيئة الى حواء . أما القرآن الكريم فينسبها اليهما معا ، فهما متضامنان فى تحمل المسئولية ، اقرأ قول الله تعالى : **« فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه »**[1] ..

---

(١) البقرة : ٣٦ .

بل نصت آية « طه » على أن الشيطان وسوس الى آدم فقط • يقول تعـــالى : « **فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى• فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى** »[٢] ••

ولا شك أن تبرئة القرآن الكريم المرأة على هذا النحو ، يرفع عنها لعنة لحقتها عبر القرون ، ويرفع عنها سبة الضعف المطلق ، والانهيار السريع أمام الغـــواية ، ولا يخفى أثر هـــذا الاتجاه على وضـــعها فى المجتمع •

* * *

(٢) طه : ١٢٠ ، ١٢١ .

٤ ــ مساواة المرأة للرجل فى العبادات

● دأب بعض العلمـــاء على الحط من قدر المرأة فيما يتعلق بأمور العبادات ، استنادا الى ما روى عن رسول الله ﷺ ، من أن النســـاء ناقصات عقل ودين ، فما مدى النقصان ، وعلى أى كيفية يفهم المرء هــذا الحديث ؟

ــ قبــل أن نعطى الجواب للســـامع ، ينبغى أن نبين له أمورا تعتبر أساسا لفهم النص ، ذلك أن أصــول الاسلام الخمسة وهى : الشهادتان ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا •• هى للرجل والمرأة على السواء •

● ولكنا نرى أن الخطاب فى قوله تعــالى : « **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** »[1] ••

وقــوله : « **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** »[2] ••

هو خطاب للذكور ••

ألا يفهم من هذا أن الله فرض الفروض على الرجال والنساء تابعات لهم ، فيكون ذلك نقصا فى دينهن ؟ •

ــ ليس الأمر كما تصورت ، ذلك أن من قواعد اللغة العربية أن الخطاب اذا وجه الى جماعة الذكور والاناث غلب الذكور على الاناث فيكون الخطاب مذكرا والاناث مندرجات تحته ، ويسمى هذا : تغليب ضمير الذكور على ضمير الاناث • فقد نقل عن الفقهاء قولهم : ان النساء يدخلن فى كل أمر يجيىء بصيغة المذكر ما لم تقم قرينة مانعــة من دخولهن ، فان الأمر بعبادة الله ، وكذلك فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج ، لم يأت فى القرآن قط بصيغة التأنيث ، ومع ذلك فهى واجبة على النســاء وجوبهــا على الرجال بهــذه النصــوص التى وردت بصيغة المذكر •

زد على ذلك أن هنــاك نصوصا توضح بجلاء ، أن المرأة يجب أن

---

(١) البقرة : ٤٣ ، ٨٣ . (٢) البقرة : ١٨٣ •

تؤدى العبادات سواء بسواء مثل الرجل • يقول الله تعالى : « **يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ، ان الله غفور رحيم** »[٣] ..

وفيما يتعلق بالصيام والزكاة ، جاء فى القرآن ما يفيد بأنهن صائمات متصدقات فقال تعالى : « **ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما** »[٤] ..

فوصفهم بما وصف به الرجال ، ثم أدرجهم فى ضمير المذكر فى قوله تعالى : « **أعد الله لهم** » ، أى للرجال والنساء ، طبقا للقاعدة التى ذكرتها لك آنفا •

فأنت ترى فى هذه الآية أنهن وصفن بالصائمات وبالمتصدقات ، ولا يكون ذلك الا طبقا للمبدأ الاسلامى الذى لا يفرق بين المرأة والرجل فى فرض الصيام والزكاة •

أما ما يتعلق بالحج ، فان كلمة « الناس » فى قوله تعالى « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا** »[٥] ..

تشمل الرجل والمرأة ، فقد قال ابن العربى فى تفسير هذه الآية : ان لفظ الناس يشمل المسلمين جميعا ذكورا واناثا • ولهذا يقول علماء أصول الفقه . للمرأة من الحقوق ما للرجل ، وعليها من الواجبات ما على الرجل •

كذلك هى مسئولة فى المجتمع مثل الرجل تماما ، فانك اذا تأملت

---

(٣) الممتحنة : ١٢ .
(٤) الأحزاب : ٣٥ .
(٥) آل عمران : ٩٧ .

قول الله تعالى : « **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** »(٦) ..

لتبين لك أن الشـــورى من الصفات الرئيسية ، التى تكون المؤمن ، وهى فى المنزلة والأثر فى حياة الانســـان تساوى : الايمان بالله ، واقام الصـــلاة ، والانفاق فى أوجه المصلحة العامة ، فالشورى كما تكون بين أولى الأمر بعضهم مع بعض ، تكون بينهم وبين من يتولون أمورهم من الناس ، وتكون بين أفراد الأسرة الواحدة وبين الجيران ، وبين أفراد المجتمع جميعا فى علاقات بعضهم ببعض .

وبالشورى واتساع مجالها ، يكون كل فرد فى المجتمع الاسلامى صاحب رعاية وصاحب مسئولية ، وبالتالى تكون المرأة صاحبة رعاية وصاحبة مسئولية ، كما جاء فى الحديث الذى رواه عمر رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « ألا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالامام راع ، وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع ، وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية ، وهى مسئولة عن رعيتها » ..

فالحديث يسوى فى المسئولية بين الرجل والمرأة فى الأسرة ، وان اختلفت نوع المسئولية التى يباشرها كل منهما ، ومسئولية الفرد تتبع حقه فى الرأى ، وحريته فى ابدائه .

ومن هـــذا يتبين أن المرأة مطالبة بالأمور الدينية مثل الرجل ، وعليها أن تؤدى العبادات كما يؤديها الرجل ، لا فرق بينهمـــا على الاطلاق .

● اذن .. فأين النقص فى الدين والعقل ؟

ـــ ذلك هو موضوع حديثنا فى الأسبوع المقبل ان شاء الله .

* * *

(٦) الشورى : ٣٨ .

٥ — اعفاء الحائض والنفساء من الصلاة والصوم

بينت لك فى الأسبوع الماضى ، أن المرأة مساوية للرجل فيما يتعلق بأمور الدين ، أى فى العقيدة ، وتأدية الفرائض ، والقيام بمسئوليات معينة • وهنا يتساءل المرء : اذا كان الأمر كذلك ، فلم اشتهر بين الناس أنها ناقصة فى الدين ؟

هذه الدعوى وهى : نقصانها فى الدين لم تأت من فراغ ، فلها أصل خرجت منه وترتكز عليه ، ذلك أن المرأة تعفى فى بعض الأوقات وفى طروف خاصة من بعض الواجبات الدينية ، وسوف نوجز لك ذلك فيما يلى :

أولا : اذا حاضت المرأة ، أو كانت نفساء لا تصوم ، ولكن عليها اعادة الأيام التى تفطرها من رمضان بعد انقضاء شهر رمضان ، وهى مخيرة بين أن تصومها متتابعة ، أو مفرقة ، بحيث لا يأتى عليها رمضان التالى الا وقد أدت ما عليها من أيام أفطرتها فى رمضان الماضى أثناء حيضها أو نزول دم النفاس عليها ، كذلك لا تصلى الحائض ولا النفساء وليس عليها اعادة ما تركته من صلاة أثناء الحيض ، أو النفاس •

● وما الحكمة فى وجوب اعادة الصوم ، وعدم وجوب اعادة الصلاة ؟

— الحكمة فى ذلك التخفيف ، لأن الصوم المفروض شهر واحد فى العام ، وهو شهر رمضان ، فلا يشق عليها اعادة ما فاتها منه ، أما الصلاة فتتكرر ، فلو وجب عليها اعادة الصلاة لشق عليها ذلك • لأن فرائض الصلاة التى تتركها أيام الحيض والنفاس كثيرة ، فلهذا أعفاها الاسلام من اعادة الصلاة •

ثانيا : تعفى المرأة من وجوب تأدية الصلاة يوم الجمعة فى المسجد ، وهى المعروفة بصلاة الجمعة ، اذ ليس عليها هذه الصلاة ، وانما تصليها ظهرا فى بيتها ، ويتفق الفقهاء فى هذا الحكم • فقد قالوا : لا تجب صلاة الجمعة : على العبد ، ولا على الصبى ، ولا على المرأة ، ولا على المريض •

● هل معنى هذا أنه لا يجوز لها الذهاب الى المسجد يوم الجمعة للصـــلاة ؟

ـــ هناك فرق بين عدم الوجوب والجواز ، فهى ليست ملزمة بالذهاب الى المسجد ، ولكن يجوز لها أن تشهد صلاة الجمعة والعيدين . فقد روى أن سالم بن عبد الله أخبر أن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تمنعوا نساءكم المساجد اذا اســتأذنكم اليها » .. قال : فقال بلال بن عبد الله : والله لنمنعهن . قال : فأقبل عليــه عبد الله ، فسبه سبا سيئا ، ما سمعته سبه بمثله قط . وقال : أأخبرك عن رسول الله ﷺ ، وتقول : والله لنمنعهن ؟ .

وعن أم عطية قالت : « كنا نؤمر بالخروج فى العيدين والمخبأة والبكر ، قالت : الحيض يخرجن فيكن خلف الناس ، يكبرن مع الناس » ..

وعنها أيضا أنها قالت : « أمرنا رســول الله ﷺ أن نخرجهن فى الفطر والأضحى ، العواتق والحيض ، وذوات الخدور ، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين . قلت : يا رسول الله .. احدانا لا يكون لها جلباب ، قال : لتلبسها أختها من جلبابها » .

فهذه الأحاديث تبين أن النساء لم يمنعن من الخروج الى المسجد فى عهد رسول الله ﷺ ، بل أمرن بالخروج لصلاة العيدين(*) حتى ولو كن حيضا ، ومن لم تجد ثوبا تلبسه فى هــذه المناسبة استعارت ثوبا من أختهــا ، وينبغى على من تملك الثوب اعارتها اياه ، تنفيــذا لوصية رســول الله ﷺ .

والمعروف أن اجتماع العيدين ، واجتماع الناس فى المسجد لصلاة الجمعة ، كان للعبادة وسماع الموعظة . أى للثقافة . وكان للاحتفال أيضا كما هو شأن اجتماع صلاة العيدين . فاذا ما بحثنا اليوم فى مجتمعنا المعاصر عن مثيل لها ، أى عن اجتماع للثقافة ، أو الاحتفالات الدينية ، فسوف نجد الكثير ، وعليــه فلا تمنع المرأة من شــهود هذه الاجتماعات ،

(*) على أن يعتزلن الصلاة (المصحح) ..

ما دامت برامجها وتنظيمها طبقا لشريعة الله ، وما دامت أحاديثهـا لا تخرج عما ينفع الناس فى حياتهم الدينية والاجتماعية .

● اذن ، فمن أين جاء الاختلاف بين العلماء ، فهم ما بين مانع لها من الخروج ومجوز ؟ .

— الذين جوزوا خروجها ، استندوا الى الأحاديث التى ذكرتها لك ، أما الذين منعوا ، فقد استندوا الى حديث لم يرفع الى رسـول الله ﷺ ، بل هو يعتبر رأيا لعائشة . وهو ما روته عمرة بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة زوج النبى ﷺ تقول : « لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد ، كما منعت نساء بنى اسرائيل — قال : — أى راوى الحديث — فقلت لعمرة : أنساء بنى اسرائيل منعن المسجد؟ قالت : نعم » .

احتج المانعون بهذا الحديث ، وعللوا رأيهم بفساد العصر ، فجاء معبرا عن فهم لظروف معينة ، ولهذا يرى بعض العلمـاء المعاصرين ، أن المرأة يجوز لها أن تشهد صلاة الجمعة فى المسجد ، وصلاة العيدين ، ما لم تحدث فتنة ، اذ لم يرد تحريم ذلك فى القرآن الكريم ، ولا سمع من النبى ﷺ تحريمه ، وبالاضافة الى هـذا فان مشاركتها فى الصـلاة فى المسجد مرة واحدة ، له من الأثر فى نفسها وروحها ما يفوق سماعها الوعظ عاما كاملا .

* * *

٦ ــ الدين والعقل عند المرأة

ظهر لك فى الحديث السابق أن تأدية المرأة فروض العبـــادة يعتريه بعض العقبات التى تعفيها من القيام بها فى حرية مثل الرجل ، فهى لا تصلى أثناء حيضها ، ولا تجب عليها الاعادة ، أى أن الصلاة تسقط عنها فى أيام الحيض والنفاس بينما لا تسقط عن الرجل أبدا ، كذلك لا تصوم فى رمضان اذا كان عليها الحيض ، بخلاف الرجل ، فلا يعتريه مثل هــذه الحالة التى تؤجل صيامه ، اللهم الا الســفر والمرض ، وهى تشترك معه فى هذين الظرفين • ولا يجب عليها أيضا شهود صلاة الجمعة والعيدين ، وان كان يجوز لها شهودها ، بخلاف الرجل ، فصلاة الجمعة فرض عليه يعاقب على تركها •

أما الحج فلا تستطيع المرأة تأديته الا اذا تحقق عندها شرط زائد على ما عند الرجل ، ألا وهو أن يسافر معها محرم ، أى أن يكون معها حارس يمنع عنها أذى الطريق ، ويحافظ عليها من الطامعين فيهــا كامرأة ، وقد سقطت الفريضة عنها اذا لم يوجد المحرم الذى يستطيع السفر معها • وذلك استنادا الى قول رسول الله ﷺ : « لا يحــل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرا يكون ثلاثة أيام فصاعدا ، الا ومعها أبوها ، أو ابنها ، أو زوجها ، أو أخوها ، أو ذو محرم منها » •

وبناء على هــذا الحديث ، ليس على المرأة التى بينها وبين مناسك الحج سفر ثلاثة أيام حج اذا لم تجد محرما يسافر معهــا ، وليس ذلك راجع الى الحط من قدرها بالنسبة للرجل ، ولكن للمحافظة عليها من مخاطر الطريق ، ولهذا ذهب بعض العلماء الى جواز سفرها للحج بدون محرم ان كانت الطريق مأمونة ، فقد قال الشافعى : « لو كان الطريق آمنا يجوز لها الحج دون مرافق » ••

وقال ابن حزم : ان بعض العلمــاء يرون أن الحج مستثنى من هذا الحديث ، وهو ما ذكرته لك آنفا من أن المرأة التى تؤمن بالله واليوم الآخر ، لا يحل لها أن تسافر فوق ثلاثة أيام الا ومعها محرم •

ويروى السمرقندى عن الطحاوى . أن المرأة اذا بلغت سن اليأس ، أو كانت لا تستهى ، فليس بلازم أن يلازمها محرم فى الحج •

ويفهم من أقوال العلماء ، أن سبب شرط المحرم هو حمايتها ممن يريدون الفتك بها كأنثى ، بدليل أنهـا لو فقدت هـذا الجانب زال الخطر عنها •

ومن هـذا يتبين أن نقصانها فى الدين ، كما ذكر فى الحديث ، من أن النسـاء ناقصات فى الدين ، ليس راجعا الى ذاتها ، وانما الى ظروف تعتريها ؛ فالحيض أمر من الأمور التى لا يجوز أن تباشر المرأة أثناءها الصـلاة أو الصوم ، لأن الدم النازل عليها نجس ومن شروط الصـلاة الطهارة ، ولأن المرأة الحائض يعتريها الضعف ، فخفف الله عنها فأعفاها من الصيام ، وكذلك عدم سفرها الى الحج بدون محـرم راجع الى عدم الأمن فى الطريق ، فلو فرض أن الطريق كان آمنـا لجاز لها السفر بدون محرم كما ذهب الى ذلك بعض العلمـاء •

وعليـه فلا يجوز لأحد أن يتخذ هـذه الاستثناءات ركيزة يرتكز عليهـا فى الحط من شـأن المرأة ، لأن ذلك لا يدخـل فى تقييمها ، أو مسئوليتها فى العبادات •

أما النقصان فى العقل كما ذكر فى الحديث ، فمرده الى ترجيح الجانب العاطفى عندها ، الذى قد يتغلب على العقل فى النظر الى الأمور المعيشية ، وليس ذلك سبة لها ، أو نقصا فى تكوينها ، بل هو لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى ، لأن تربية الطفل موكولة اليها ، والطفل يحتاج الى العاطفة أكثر مما يحتاج الى المنطق والنظرة العقلية الجافة ، وليس معنى ذلك أنها مجردة من التفكير •• لا ! بل لها عقل قد يفوق عند بعضهن ما عند بعض الرجال ، لها عقل مثل عقل الرجل ، وتفكير مثل تفكيره ، وقد يسمو فى بعض الجوانب عند بعضهن على ما عند بعض الرجال رجاحة ومنطقا • ولكن العاطفة عندها كجنس

أشد مما عند الرجال كجنس . ويمكن أن يقال : ان كلا من جنسى الرجل والمرأة يمتاز بالعقل والعاطفة ، الا أن الغالب على الرجل العقل لما اكتسبه من تجارب وخبرة بحكم الممارسة ، والغالب على المرأة العاطفة ، لأن الطفل فى حاجة اليها ، وهى ملازمة له ، فغلبت العاطفة كذلك ، وللممارسة الفعلية فى مجال العاطفة على طول امتداد التاريخ ، وذلك لا يعد نقصا ، بل هو من باب توزيع المواهب على حسب متطلبات الحياة .

* * *

obeikandl.com

٧ — مساواة المرأة للرجل فى الجزاء

عندما تختلف الآراء أو تتصارع حول مساواة المرأة بالرجل ، يظهر على السطح سؤال عن وضع المرأة بالنسبة للرجل فى الثواب والعقاب ، اذ يتساءل بعض الناس ، عما اذا كانت المرأة سوف تثاب على ما تؤديه من عبادات ثوابا مثل ثواب الرجل ، أم أن ثوابها سيكون أقل من ثوابه ، اعتمادا على ما يظنه البعض من تفضيله عليها ، الأمر الذى يجعله أيضا مفضلا فى مجال الثواب .

ويحسن بنا فى هـذا المقام ، أن نتلو بعض آيات القرآن الكريم ، التى تتعلق بهذا الموضوع . يقول الله تعالى : « **فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض** »[1] ..

ويقول سبحانه : « **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا** »[2] ..

ويقول جل شأنه : « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** »[3] ..

ويقول عزت قدرته : « **من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنـة يرزقون فيها بغير حسـاب** »[4] ..

فأنت ترى فى هذه الآيات ، أن الله سوى بين الرجل والمرأة فى الجزاء اذا أدت ما فرضه الله عليها مثل الرجل ، وقد أجمع المفسرون على هذا عندما تعرضوا لتفسير هـذه الآيات فيقول الزمخشرى : « ان هـذه الجملة بينت شركة النسـاء مع الرجال فيما وعـد الله عباده العاملين » ..

ويقول الرازى : « المعنى أنه لا تفاوت فى الاجابة وفى الثواب بين الذكر والأنثى ، اذا كانا جميعا فى التمسك بالطاعة على السـوية ،

---

(١) آل عمران : ١٩٥ .
(٢) النساء : ١٢٤ .
(٣) النحل : ٩٧ .
(٤) غافر : ٤٠ .

وهـذا يدل على أن الفضل فى باب الدين بالأعمال لا بسـائر الصفات للعـاملين ، لأن كون بعضـهم ذكرا أو أنثى ، أو من نسب خسيس أو شريف ، لا تأثير له فى هـذا الباب » ••

ولم يخرج عن هذا المعنى ما ذهب اليه الطبرى وابن كثـير وغيرهما من العلماء قديما وحديثا ؛ غير أن بعض المحدثين ربطوا بين هذا الموقف الاسـلامى من المرأة • وبين ما يدعيه بعض المفكرين من أن الحضارة الغربية هى التى أنصفت المرأة ، وركزوا على بيان أن الاسلام قد سبق حركة تحرير المرأة ، التى ظهرت فى العصر الحديث فى أوروبا ، وشايعها كثير من المفكرين المسلمين •

سبق الاسلام هذه الحركة ، فأعطى المرأة حقوقا لم تحصـل عليها فى الغرب الا بعد أربعة عشر قرنا ، وبعضها لم تحصل عليه الى الآن ، اذ ذكرت التقارير أن بعض الشركات الغربية لا تسوى بين الرجل والمرأة فى الأجور ، على الرغم من أنها تقوم بنفس العمل الذى يقوم به الرجـل •

فالاسلام سوى بينهما فى المسؤلية الدينية وفى الجزاء ، وأعطاها استقلالها الكامل عنه فى هذا المجال • يقول الشيخ شلتوت :

« يرى الاسلام أن مسئولية المرأة من الوجهة الدينية ، كمسئولية الرجل سواء بسواء : يكلف بالعقيدة ، وتكلف هى أيضا بالعقيـدة ، ويطالب بالعمل الصالح ، وتطالب هى أيضا بالعمل الصالح • ومسئوليتها فى ذلك مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل ، لا يؤثر عليها — وهـى صالحة — فساد زوجها وخلل عقيدته ؛ ولا ينفعها صلاح زوجها وهى فاسدة العمل وفاسدة العقيدة ، فاكل من الرجل والمرأة جزاء ما اكتسب من خير أو شر » •

يقول الله تعالى : **« ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين • وضرب الله مثلا للذين آمنوا**

امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين » (٥) .

وينبغى أن نعى أن هذا جانب آخر من الجوانب التى يظهر لك فيها بوضوح أن الاسلام يسوى بين الرجل والمرأة فى الجزاء ، وتلك مسألة تؤكد أن لا مجال للادعاء بأن الاسلام يفضل الرجل على المرأة ، أو يهضم حقها ، فالاسلام قد سبق الحضارة الحديثة بأربعة عشر قرنا فى انصاف المرأة وتكريمها .

* * *

(٥) التحريم : ١٠ ، ١١ .

obeikandl.com

٨ — حول حجاب المرأة

ان من أهم قضايا المرأة فى العصر الحديث ، هو خروجها العمل ، وظهورها فى مجال النشاط الاجتماعى ، ذلك أن كثيرا من المحافظين ، يرون أن المرأة مكانها البيت ، ويستدلون على ذلك بقـــوله تعـــالى : **« وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى »** (١) ..

اذ يفهمون من هـــذه الآية أن الله فرض على المرأة أن تظل فى بيتها ، لا تخرج منه مهما كانت الأسباب . ولبيان هذه القضية الحيوية التى تشغل بال المسلمين اليوم فى كل أقطار العالم الاسلامى ينبغى أن نبين جانبين هامين فى هذه القضية .

الجانب الأول : بيان رأى المفسرين فيمن حوطب بهذه الآية : **« وقرن فى بيوتكن »** .

الجانب الثانى : نبذة عن حقيقة الحجاب من ناحيته التاريخية ، ومن ناحية الهيئة التى ينبغى أن يكون عليها طبقا للشريعة الاسلامة .

أما عن الجانب الأول ، فقد اختلف فه المفسرون ، اذ على الرغم من أنهم اتفقوا على أن الخطاب كان لنساء النبى ﷺ بدليل قوله فى الآيـــة السابقة : **« يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ، ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا »** (٢) ..

الا أنهم اختلفوا فى دخول غيرهن فيه ، فقال بعضهم : الخطاب لنساء النبى ﷺ ، ونساء المؤمنين جميعا مندرجات فيه .

بينما يرى البعض الآخر أنه خاص بنساء النبى ﷺ ، وعليه فاذا خرجت المرأة لا تكون مخالفة فى ذلك لنص شرعى متفق عليه ، غـــير أنها ملزمة باتباع ما فرضته الشريعة الاسلامية عليها فيما يتعلق بالحجاب .

● أليس معنى الحجاب أن تقبع المرأة فى بيتها ، بحيث لا يراها غير محارمهـــا ؟

---

(١) الأحزاب : ٣٣ .

(٢) الأحزاب : ٣٢ .

ـ يطلق الحجاب ويراد به كل ما يمنع رؤية المحجوب ..

أو قرار المرأة فى دارها والاحتجاب دون الرجال فلا تكون بمرأى ولا مسمع منهم .

أو ارخاء القناع على وجه المرأة اذا غادرت دارها لبعض شأنها . أى هو اللباس الخاص الذى ترتديه المرأة ، حتى لا تظهر فتنتها للرجال الأجانب .

أما المعنى الأول فلا يتعلق به حكم ، لأن مادة الحجز نفسها ، سواء أكانت ستارة أو قمشا يرتدى ، لا توصف بالحل والحرمة ، وانما الذى يقع عليه الحكم ، هو علاقته بمن يستعمله ، والهيئة التى يستعمل بها .

والمعنى الثانى سبق لنا بيانه فى مطلع حديثنا عندما بينا رأى العلماء فى تفسير قوله تعالى : « **وقرن فى بيوتكن** » ، فلم يبق لنا الا أن نبين المعنى الثالث وهو : ارخاء القناع على وجه المرأة ، أو لباس المرأة بوجه عام . ولكن قبل أن نبين الهيئة الشرعية لهذا اللباس ، نحب أن نصحح خطأ شائعا .

● ما هو ؟ ..

ـ هو ما شاع من التلازم بين حجاب المرأة وبين الاسلام ، مما جعل كثيرا من الناس يعتقدون أن الاسلام هو وحده الذى فرض الحجاب على المرأة .

● هذا ما أعتقده أنا أيضا !!

ـ هذا اعتقاد خاطىء ، فقد كان الحجاب معروفا قبل الاسلام ، اذ جاء فى التوراة : أن رفقة (ورفقة اسم لامرأة) أخذت البرقع ، وتغطت به ، عندما أبصرت رجلا أجنبيا آتيا من بعيد .

كذلك ذكرت كلمة القناع فى الشعر العربى الجاهلى .. يقول الشنفرى :

فواكبدى على أمية بعدما ... طمعت فهبها نعمة العيش زلت

لقد أعجبتنى لا سقوط قناعها ... اذا ما مشت ولا بذات تلفت

غير أن دواعى استعماله كانت متعددة، اذ استعملته المرأة القبيحة لتدارى قبحهـا أو المسنات لعادات تأصلت عندهن •• أو الجميـلات احتشاما واستحياء ، كذلك كان من عادات المرأة العربية كشف وجهها أمام الجبان ، ازدراء به وايماء بأنه ليس بالذى يحتشم منه ، فقد حدثوا أن نساء بنى حارث بن كعب لم يكن يتقنعن دون جبنائهن •• غير أن طرح النقاب أو السفور كان أغلب حالات نساء العرب •

● ماذا تقصد من بيان أن الحجاب كان موجودا قبل الاسلام فى التوراة وفى الشعر الجاهلى ؟

— أقصد من ذلك بيان أمرين :

الأمر الأول : الرد على هؤلاء الذين يزعمون أن الاسلام حط من قدر المرأة ، ويستدلون على ذلك بفرض الحجاب عليها • اذ يدعون أن فرض الحجـاب عليها ، جعلها مثل سلعة يخشى الرجل عليها من الضيـاع ، لأنه يملكها ، وما دامت ملكه فيجب عليه أن يضرب السياج حولها حتى لا تضيع منه • فمثلها فى ذلك مثل المتاع الذى يملكه • فأقول لهم : ان الحجـاب كان موجودا قبل الاسلام فى الشرائع كلها • وهذا يقودنا الى بيـان الأمر الثانى : وهو أن حجاب المرأة ليس انتقاصا من قدرها ، بل العكس هو الصحيح ، فهو للمحافظة عليها حتى لا تبتذل ، وهو صون للمجتمـع حتى لا تشيع الفاحشة فيه •

● بقى عليك أن تبين الحدود التى رسمها الاسلام للحجاب •

— ذلك هو موضوع حديثنا القادم ان شاء الله ••

* * *

٩ ــ حــدود الحجــاب فى الاســلام

تحدثنا فى الأسبوع الماضى عن الحجاب ، فبينت لك أنه كان موجودا قبل الاسلام ، وان اختلفت دوافعه ، ثم شرحت أحد نوعيه ، وهو توارى المرأة فى دارها والاحتجاب دون الرجال ، وبقى النوع الآخر ، ألا وهو ارخاء القناع على وجه المرأة اذا غادرت دارها لبعض شأنها ، أو هو اللباس الخاص الذى ترتديه المرأة حتى لا تظهر فتنتهــا للرجــال الأجانب ، ولكى نبين هذا النوع فى الاسلام ، يجب أن نتلو الآيات التى نزلت بفرض الحجاب على المرأة .

يقول الله تعالى : « **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا الى الله جميعــا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** » (١) . .

فأنت ترى أن الآيتين اشتملتا على ثلاث وصايا رئيسية وهى : غض البصر .. وحفظ الفرج .. وعدم ابداء زينة المرأة للرجال الأجانب عنهــا .

فغض البصر ، وحفظ الفرج وصيتان للرجل والمرأة على السواء ، ولا يمكن لعاقل أن يعترض عليهما ، حتى فى أكثر المجتمعات تحللا ، اذ أنهما من الأمور المسلم بها عند كل الناس ، فالتلصص بالعين منبوذ ، وغير مستحب فى كل المجتمعات ، اذ يعتبره الناس منافيا للآداب العامة ، حتى ولو كان الشىء الذى يريد الفضولى رؤيته من الأشياء التى ليس لهــا

---

(١) النور : ٣٠ ، ٣١ .

تأثير مباشر على الفضيلة ، فأنت تلاحظ أن الناس ينظرون الى الشخص الذى يبحلق فيما يقابله ، أو فيما فى يد غيره ، أنه انسان لا خلاق له ، ولا آداب اجتماعية عنده ، فما بالك اذا كان سينتج عن هذا الفعل آثار سيئة فى المجتمع ، وهو النظرة التى تؤدى الى الفاحشة .

كذلك لا يوجد مجتمع يدعو الى الفاحشة . قد تنتشر الفاحشة فى مجتمع ما ويغض الناس الطرف عنها ، ولكنهم اذا سئلوا رأيهم فيها بحرية . فلسوف تستنكرها الأغلبية وتدعو الى محاربتها .

أما الوصية الثالثة — فهى خاصة بالنساء ، وهى مدار الاختلاف ، فالاسلام يرى أن جسم المرأة فتنة ، فاذا انكشف منه جزء فى المجتمع ، كان من الدوافع التى تساعد على شيوع الفاحشة ، ولما كان شيوع الفاحشة فى مجتمع ما يعجل بانهياره ، فقد فرض الله على النساء نوعا من الحجاب ، ليحفظ المجتمع من الانهيار والتصدع .

● أرى بعض الناس يلزمون المرأة بستر كل بدنها حتى وجهها ، فلا تظهر من جسمها شيئا على الاطلاق .. فهل هذا هو رأى الاسلام ؟ .

— اعلم أن التعبير عن الحجاب فى القرآن الكريم هو تعبير عام ، تدبر قوله تعالى : « **ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها** »(٢) .. فقد فسر العلماء قوله تعالى : « **الا ما ظهر منها** » .. بالوجه واليدين ، أى أنهما ليسا من العورة التى يجب سترها ، وهذا هو رأى جمهور الفقهاء .

● ولكن بعض الناس فهموا من قوله تعالى : « **يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفورا رحيما** » (٣) ..

أن المرأة يجب أن تغطى جميع جسدها حتى الوجه واليدين ؟ .

— هذه الآية نزلت فى ظروف خاصة ، ذلك أن أرقاء المدينة ، وفتيان المنافقين ، كانوا يتبعون النساء عند ذهابهن ليلا لقضاء حاجتهن خارج المدينة . وكانوا يتخرشون بهن فى غدوهن ورواحهن ، فلما استنكروا

---

(٢) النور ٣١ .

(٣) الأحزاب : ٥٩ .

عليهم ذلك ، تعللوا بأنهم لا يتعرضـــون الا للاماء •• فنزلت الآيـــة ، وتلمس ذلك من تعليل الأمر بارخاء الجلابيب عليهن ، وهو قوله تعالى : **« ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين »** ••

ولهذا فهم بعض النساء فى عصر صدر الاسلام خصوصية هـــذا الأمر ، فجلسن سوافر غير محجبات عن الرجـــال ، لبعدهن عن مجـــال الأذى ، ومجال الشبهات •

ومن فضليات هؤلاء سكينة بنت الحسين بن على — رضى الله عنهم — ، فقد كانت تجلس الى العلماء والأدباء والشعراء ، ولا تكاد تحتجب عنهم •

ومنهن عائشة بنت طلحة •• فكانت لا تستر وجهها من أحـــد •• وقد عاتبهـــا فى ذلك زوجها مصعب بن الزبير فقالت : « ان الله وسمنى بميسم جمال أحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضله عليهم ، فما كنت لأستره ، ووالله ما فى وصمة يقدر أن يذكرنى بها أحـــد » •

ذلك هو رأى الاسلام وفهم المسلمين للحجاب وموقفهم من المرأة وحريتها ، وهو يتلخص فيما يلى :

يجوز أن تغشى المجالس وتباشر أى نشاط فى المجتمع ، ما دام ذلك فى حدود الشرع وما دامت غير متبرجة كتبرج الجاهلية الأولى ، فالوجه واليدان ليسا بعورة ، ويجـــوز للمرأة أن ترتدى الملابس التـــى يرى الصالحون والمستنيرون فى المجتمع أنها غير خارجة عن الأدب ، وغير جارحة لوقارها وحشمتها •

* * *

١٠ ـ تعليم المـــرأة

حث القرآن الكريم المسلمين فى آيات كثيرة على التعليم ، ووصاهم بالحرص على طلب العلم ، ومجالسة العلماء ، فيقول الله تعالى : « **هـــل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولوا الألباب** »[١] . .

ويقول جل ذكره : « **انما يخشى الله من عباده العلماء** »[٢] . .

ويقول سبحانه وتعالى : « **وقل رب زدنى علما** »[٣] . .

كما جاء فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة » . .

كما ورد عنه قوله : « العلماء ورثة الأنبياء » . .

وقوله : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » . .

فهذه الآيات والأحاديث تبين لك أن الاسلام دعا الى العلم والتعليم، وحث المسلمين جميعا ذكورا واناثا على طلب العلم ؛ وقد امتثل المجتمـع الاسلامى الأول لهذا التوجيه الالهى والوصية النبوية ، فبذل المسلمون جهدا كبيرا فى تحصيل العلم والمعرفة مما جعلهم يتبوأون مركزا يفـوق أمثالهم ممن اشتهروا بحمل ألوية الحركات العلمية على امتداد التاريخ البشرى كله ، اذ نشطت الحركة العلمية فى القرن الأول الهجرى ، فكـان التعليم ـ وخاصة ما يتعلق بالمواد الدينية ـ مفروضا على كل النـاس ذكورهم واناثهم ، لا فرق بين صبى وصبية ، ولا بين فتى وفتاة ، ولا بين رجل وامرأة ، فقد نشط الجميع كتفا الى كتف فى تحصيل العلم والمعرفة . ومن هنا وجد بين العلماء نساء تقلدن مناصب الأستاذية فى التدريس ، فكان يستمع اليهن فى مجالس التدريس فتيان وفتيات . وان دلت هـذه الظاهرة على شىء ، فانما تدل على أن مجالس العلم الاسلامية فى القرون الأولى لم تعرف التفريق بين الذكر والأنثى .

---

(١) الزمر : ٩ .
(٢) فاطر : ٢٨ .
(٣) طه : ١١٤ .

● هلا ذكرت لى بعض أسماء النساء اللاتى كان لهن دور فى مجالس العلم مثل الرجال ؟

ــ ذكر ابن خلكان فى كتابه « وفيات الأعيان» كثيرا من هؤلاء، وبين دورهن فى مجال التعليم ، أذكر لك على سبيل المثال :

زينب بنت أبى القاسم ، فقد بين ابن خلكان العلماء الذين حضرت عليهم وأجازوها ، فكان من بين من أجازها : الحافظ أبو الحسن عبد الغافر بن اسماعيل ، والعلامة أبو القاسم الزمخشرى صاحب الكشاف فى تفسير القرآن الكريم ، وغيرهما من السادة الحفاظ .

وتولت التدريس ، فدرس عليها ابن خلكان نفسه وأجازته ، اذ يقول : « ولنا منها اجازة كتبتها فى بعض شهور عام ٦١٠ هـ » .

ومنهن : فاطمة بنت محمد بن أحمد التنوخية : كانت عالمة بالحديث ، ومن تلاميذها : الحافظ ابن حجر العالم المشهور .

ومنهن : مريم بنت عبد الرحمن : كانت من علماء الفقه الحنبلى ، فكانت تجلس للتدريس فى نابلس ، ودمشق .

فاذا جئنا الى القرن التاسع الهجرى ، وجدنا أيضا بعض النساء اللاتى تبوأن مراكز علمية ، فمنهن على سبيل المثال :

فاطمة بنت خليل بن أحمد الكنانية : كانت حجة فى الحديث ، واشتغلت بالتدريس فى مصر ، بعد أن أجازها بعض علماء عصرها ، وتفردت بالرواية عن كثير منهم ، وخرج لها القبانى « مشيخة » .

● هذا أمر يدعو الى الدهشة ، اذ المعروف عن المسلمات أنهن بعيدات عن هذا المجال . فكان من المعالم الاجتماعية فى المجتمع الاسلامى قبل النهضة الحديثة أن المرأة جاهلة ، فأنت لا تكاد تجد واحدة تستطيع أن تقرأ وتكتب فضلا عن أن تكون عالمة ــ كما ذكرت لى ــ فما السبب فى ذلك؟

ــ السبب أن الانحطاط كان قد أصاب كلا من الرجل والمرأة فى القرون الوسطى ، والسبب فى ذلك أن الفتح العثمانى قضى على مظاهر النشاط الفكرى الذى كان مزدهرا فى العصور الاسلامية الأولى ، فاذا قيل أن

المرأة المسلمة — كانت تعيش فى هذا العصر وما تلاه فى ظـلام — ، فلنتذكر أن الرجل المسلم كان كذلك فى الغالب .

والخلاصة : أن المرأة كان لها على امتداد التاريخ الاسلامى دور كبير فى مجـال التعليم . وقد امتازت العالمة المسلمة بالصدق فى العلم ، والأمان فى الرواية ، والبعـد عن مواقع التهم ومساقط الظن ، مما لم يوفق اليه كثير من الرجال ، فالحافظ الذهبى يقول فى كتابه « ميزان الاعتدال » الذى خرج فيه أربعة آلاف متهم من المحدثين يقول بعد ذلك : « وما علمت من النساء من اتهمت ولا من تركوها » ..

أما جهودها فى الشعر ونقده فسوف تجد أمثلة كثيرة منها فى كتب الأدب .

وجملة القول ان الاسلام جعل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وان المجتمع الاسلامى الأول أتاح للمرأة فرصة التعليم فأثبتت وجودها فى كثير من التخصصات العلمية والأدبية ، فوصلت الى أعلى الدرجات فى المعرفة ، ألا وهى درجة « الأستاذية » حيث منحت الدرجات العلمية ، وتحوى كتب التاريخ الكثير من أسماء هؤلاء اللاتى منحن درجات علمية لعلماء مشهورين ، ومن هنا فلا ينسب تأخرها علميا فى بعض العصور الى الاسـلام ، انما لطبيعة النظم السياسية التى كان لهـا أثر فى تأخرها علميا .

كذلك لا ينبغى أن تمنع باسم الاسلام من طلب العلم ، لأن الاسلام فرض تحصيل العلم ، فكيف ينسب اليه مثل هـذا الحكم ؟ !

* * *

١١ — تولى المرأة الوظائف العامة

سوف أحدثك اليوم عن موضوع كثر الكلام حوله ، وتباعدت فيه أطراف النزاع عن بعضها البعض ، ألا وهو السماح للمرأة بالعمل خارج البيت ، وقبل الدخول فى الحديث عن هذا الموضوع ، أحب أن أذكر لك ملاحظتين هامتين جدا بالنسبة للحكم على تصرف المرأة فى هذا المجال .

أولاهما : أن القرآن الكريم لم يذكر شيئا عن عمل المرأة خارج البيت، فاذا بحثت فى القرآن عن آيـة تحلل لها العمل الوظيفى أو تحرمه ، فلن تجد شيئا من هذا القبيل أبدا ، فسكوت القرآن عن هذا الموضوع اشارة الى أنه من المسائل المتروكة للعرف ، وقضايا العرف يحددها الشرع .

وثانيتهما : أننى ذكرت لك فى حديث سابق عن حجاب المرأة أن الاسلام جوز لها أن تغشى المجالس ، وتباشر أى نشاط فى المجتمع ، ما دام ذلك فى حدود الشرع ، وما دامت غير متبرجة كتبرج الجاهليـة الأولى .

اذن ، فالحجة بأن القرآن الكريم حلل هذا العمل لها ، أو حرم ذلك ، لا دليل عليها ، ومن يستند فى تحريمه على المرأة تولى الوظائف العامة بأن الحجاب يمنع ممارستها لهذا العمل ، لا يستطيع أن يدعم رأيه بدليل قوى ، بعد ما بينا حدود الحجاب ، وأنه لا يمنع المرأة من قيامها بعملها فى المكاتب ، أو المصانع ، أو غير ذلك من أماكن العمل .

● اذا كان الأمر كذلك ، فعلى أى شىء يستند المعارضون لعملها ؟

— هم يستندون فى رأيهم على عوامل بيولوجية خاصة بالمرأة،فمثلا يقولون : « ان المرأة لا تتمتع بقوة جسمانية ، تمكنها من العمل مثل الرجل كما لا تستطيع القيام بعملها فى جميع الأوقات ، فهناك فترات الحمل والرضاعة، حيث لا تتمكن من أداء وظيفتها مثل الرجال ، كمـا أن هناك أعمالا لا تستطيع القيام بها .

● هذا صحيح ، فالمرأة لا تستطيع العمل فى المناجم مثلا ، أو فى

أعمال البناء الشـــاقة ، أو قيادة السيارات اللورى ، أو الطائرات ، وغير ذلك من الأعمال التى تحتـــاج الى خواص جسمانية لا توجد الا فى الرجل •

ـــ رأيك سديد ، ولكننا نبحث الموضوع من الناحية العامة ، لنحدد جواب هذا السؤال : هل يجوز لها العمل من وجهة النظر الاسلامية أم لا ؟• أما مسألة قدرتها ، أو عـــدم قدرتها ، فذلك راجع الى كل امرأة على حدة ، فقد تستطيع احداهن أن تؤدى أعمالا شاقة مثل الرجل ، فهـــل يجوز لنا أن نمنعها منه بحجة أن الدين يحرم عليها ذلك ؟ •• لا •• طبعا ، فالقضية تدور حول السماح لها دينيا بالعمل أم لا •• وأظن أنك معى فى أنه يجز لها العمل ، وخاصة بعـــد ما بينت لك الملاحظتين الســـابقتين ، وهما عدم وجود آية فى القرآن الكريم تحرم عليها العمل ، وأن طبيعة الحجاب كما حدده القرآن الكريم وفسره علماء التفسير ، لا يحول بينها وبين القيام بوظيفتها ، وما أظنك تخالفنى فى هذا الرأى اذا قرأت عليك شيئا من أخبار احدى فضليات المؤمنات مع رســـول الله ﷺ فى عمل يظن الناس أنه خاص بالرجال ، حتى فى أكثر الدول حضارة ، ألا وهو ميدان القتال •

فقد جاء فى كتب التراث ، أن نسيبة بنت كعب المازنية ، خرجت فى جيش المسلمين يوم أحد ، تسقى الظمأى ، وتأسو الجرحى ، فأصيب ابنها عمارة فى عضده اليسرى ، فأقبلت عليه فربطت جرحه ، والنبى ﷺ واقف ينظر اليها ، ثم قالت لابنها : « انهض بنى فضارب القوم » •• فجعل النبى ﷺ يقول :

« ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة » ؟ •• قالت : وأقبل الرجـــلُ الذى ضرب ابنى ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا ضارب ابنك » قالت : فاعترضت له فضربت ساقه فبرك • قالت : فرأيت رسول الله ﷺ يبتسم حتى رأيت نواجذه ••

وأصيبت نسيبة فى هذا اليوم بثلاثة عشر جرحا ، واحد منها غار فى عاتقها فنزف الدم منه ، وهى رغم ذلك كالصاعقة الساحقة ، تضرب

فى صفوف العدو ، وترتمى بين صفوفهم غير آبهة ، ولا دارية بالـدم النـاعر من جسمها •

فهل ترى أكثر من هذا المثل دلالة على جواز عمل المرأة ؟

● ربما كان ذلك مثلا فريدا ، أو كان — كما يقولون — قبل نزول آيـة الحجاب ؟ ••

— ليس الأمر كذلك ، فهناك من النسـاء كثيرات ، خضن المعارك فى عهـد الصحابة والتابعين ، أذكر اك منهن ، أم سليم فى غـزوة حنين ، وخولة بنت الأزور فى موقعة أجنادين ، وغزالة الحرورية فى عهد بنى أمية ، وليلى بنت طريف فى عهد الرشيد ، وغيرهن كثيرات ، وفقنا الله واياك الى ما فيه الصواب والصلاح وسدد خطانا •• انـه سميع مجيب •

* * *

١٢ — وضع الرجل فى المجتمع

بعد أن انتهينا فى الاسبوع الماضى من الحديث عن المرأة ، ينبغى أن نتناول العنصر الثانى فى المجتمع ، ألا وهو الرجل ، وسوف نقتصر فى حديثنا عنه على أربعة جوانب :

الجانب الأول : وضعه فى المجتمع فى مقابل المرأة :

فالرجل فى المجتمع الانسانى هو أهم عنصريه ؛ فهو الذى خلق أولا ، وهو الذى تحمل — ولا زال — مسئولية المسيرة التاريخية فى جميع مجالات الحياة .

● ما معنى خلق أولا ؟

— أقصد بذلك أن الأديان السماوية ، ذكرت أن الله خلق الرجل أولا ، ثم خلق المرأة ، فهو مقدم عليها فى الخلق ، ولا شك أن هذا يعطيه الفضل فى الأسبقية الزمنية ، فى الوجود .

● هل يفهم من هذا أنه مفضل عليها لهذا السبب ؟

— ليس تفضيلا ذاتيا ، أى مرتكزا على خاصية ذاتية ، بل تفضيل زمنى كما قلت ، وأضرب لك مثلا للتوضيح : يحدث فى الوظائف أن يرقى أحد قبل الآخر ، فيسبقه فى كل اجراء يترتب على هذه الترقية ، وقد يكون الثانى أكثر قدرة على العمل من الأول ، ولكن لما كانت اجراءات الامتيازات تتبع زمن الترقية ، فيحصل الأول عليها طبقا لهذه القاعدة ، فالرجل مقدم زمنا على المرأة فى الوجود ، فهو مفضل عليها بصرف النظر عن المزايا الذاتية التى يتمتع بها أحد النوعين ، زد على ذلك أن الرجل تفوق على المرأة بعد ذلك بتحمله المسئولية العامة .

● هل يرجع ذلك أيضا الى بدء الخلق ؟

— هناك فى قصة خلق آدم وحواء ما يشير الى أن الرجل سوف يتحمل المسئولية العامة فى المجتمع .

● بين لى هذه الاشارة التى تفيد ذلك ؟

— الم تقرأ قول الله تعالى : « **وعصى آدم ربه فغوى** » [١] . .

فقد نسب العصيان الى آدم فقط ، ولم ينسب الى حواء ، وذلك بعد ما قرر القرآن الكريم أنهما ضعفا أمام غواية الشيطان ، فزلا الى معصية الله ، يقول الله تعالى : « **فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه** »[٢] .

اذن ، هناك مسئوليتان : مسئولية شخصية ، فيسئل كل انسان بمقتضاها عما ارتكبه هو شخصيا ، ويشترك فى هذا آدم وحواء .

ومسئولية عامة ، ولا يسئل فيها الا صاحب الولاية العامة ، وتلك هى المسئولية الخاصة بآدم .

فحواء عليها مسئولية واحدة ، وهى المتعلقة بنفسها ، وعلى آدم مسئوليتان : الأولى خاصة بنفسه ، وتتمثل هنا فى امتثال أمر الله بعدم الأكل من الشجرة ، ومسئولية عامة : وهى تكليفه بأن يحافظ على المجتمع — وحواء هى التى تمثل المجتمع هنا — ويحول بينه وبين ارتكاب معصية الله .

● أليس تكليف الله له بالمسئولية العامة دون المرأة مبنيا على خواص ذاتية لا توجد فيها ؟ .

— ربما ، وقد يبدو ذلك واضحا فى تفرده بالمسئولية الاجتماعية على امتداد عصور التاريخ ، فأنت لا تجد فى أى بقعة من بقاع العالم أى أثر لسيطرة المرأة على سير الأمور فى المجتمع .

● لكنا سمعنا عن تولى بعض النساء الحكم ؟

— نعم ، لقد تولت بعض النساء أمور السياسة والحكم ، حتى فى مصر الاسلامية ، فقد تولت شجرة الدر حكمها ، ولكن هذه أحداث فردية ، ونحن نتحدث عن الغالب الأعم ، وهو أن الرجل احتفظ بالسيطرة والمسئولية فى المجتمع فى جميع مجالات الحياة العامة ، وهذا ولا شك

---

(١) طه : ١٢١ .　　(٢) البقرة : ٣٦

راجع الى خصائص بيولوجية انفرد بها عن المرأة ، كما أنه راجع أيضا الى طول ممارسته لهذا العمل .

ولذلك يقول الله تعالى : « **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** »(٣) .

فتفضيل الله له هيأه لأن يتولى القيادة فى المجتمع ، والقوامة فى البيـــت .

● ما معنى القوامة فى البيت ؟ .

— ذلك هو موضوع حديثنا المقبل ان شاء الله . —

* * *

(٣) النساء : ٣٤ .

obeikandl.com

١٣ ـ قوامة الرجـل

حديثنا اليوم عن قوامة الرجل على المرأة التى جاءت فى قوله تعـالى : « **الرجال قوامون على النسـاء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** »[1] ..

فقد اعتمد المفسرون على هـذه الآية فى تفضيل الرجل على المرأة فى الجانب الخلقى والاجتماعى ، غير أن بعض المفسرين المحدثين ، وان اعترفوا بتفوق الرجل على المرأة ، الا أن بعضهم ينفى أن تكون قوامة الرجل على المرأة سببا فى عدم الاعتراف بارادة المرأة ، وقدرتها على القيام بأعمال قد تكون مساوية لأعمال الرجل ، كما أن التفوق فى رأيهم ـ هو تفوق الجنس على الآخر ، اذ قد توجد نساء متفوقات بمراحل على كثير من الرجال . ورغم هـذا فجميع الفقهاء متفقون على أن للرجل السيادة والقيادة فى البيت .

● هل تبدأ هـذه السيادة من حين العقد ؟

ـ لو تدبرنا الأمر لوجدنا أنها وان كانت بدايتها الفعلية من حين العقد ، الا أنها تبدأ قبل ذلك ، وبالذات من حين التفكير فى الزواج ، فالذى يقدم على الطلب هو الرجل وليس المرأة ، فهو الذى يتقدم لخطبتها من أبيها أو ممن يتولى شئونها ، ولا شك أن الذى يتقدم أولا بالطلب . يتمتع بشىء لا يتمتع به الآخر الذى ينتظر المبادرة ليقوم بالرد عليها .

ثم هو الذى يقدم المـال والهدايا ، ويهيىء بيت الزوجية ، وهذا يضيف الى جانبه فضلا آخر عليها ، ولذا يقول الله تعالى : « **وبما أنفقوا من أموالهم** »

● فاذا رفضته المرأة ، فهل يجوز لولى أمرها اجبارها على الزواج ؟

ـ لا .. اذ ليس معنى اسناد ابرام عقد الزواج الى ولى أمرها اجبارها على الزواج ممن لا تحب ، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال :

---

(١) النساء : ٣٤ .

« البكر تستأذن ، واذنها صماتها ، والثيب تعرب عن نفسها » ..

كذلك لا ينبغى أن يفهم من اسناد القوامة الى الرجل دون المرأة أنها تمنع مطلقا من المساهمة والمشاركة فى ادارة شئون المنزل بالرأى والمال ، فقيادة الرجل لا تمنع اطلاقا مساهمة المرأة ، ولكنها لا تفرض هذه المساهمة ولا تكرهها عليها ، أى أنها لا تفرض عليها انفاق شىء من مالها ، كما أن هذه القيادة ذاتها لا تخرج اطلاقا عن المسئولية الى دائرة التحكم ، أو الى المعاملة بالقسوة ، أو الى التطلع بالغلظة فى السلوك والمعاشرة — أى ان جنحت قيادة الرجل الى شىء من الغلظة والتحكم والسيطرة ، فهذا مؤشر لافلاس الرجل فى فهم القيادة ، وفى تطبيقها معا . لأن الاسلام حين أعطاه القيادة ، لم يكن ذلك جوازا له باستعمال هذه السلطة الاستعمال السيء ، بل ذكره بقواعد عامة فقال تعالى : **« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف »**(٢) ..

وقال ﷺ : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » ..

فالاعتراف بأن لهن حقوقا ، وبأن المسلم الكامل الايمان ينبغى أن يعامل أهله بالحسنى يدفعه ايمانه الى استعمال حقه فى القوامة استعمالا حسنا بحيث لا يطغى ولا يجور ، فتسعد الأسرة ، ويحل الوئام على أهل البيت ، ويكون فى ذلك سعادة الجميع وهناءهم .

* * *

(٢) البقرة : ٢٢٨ .

١٤ — واجبات الرجل

ان علاقة الرجل بأهل بيته من أسمى العلاقات فى هذه الحياة ، لذا ينبغى أن تؤسس على قاعدة متينة ، بحيث لا تزعزعها عواصف الدهر ، ولا تضعفها محن الحياة ومآسى التقلبات المادية ، وقد رسم الاسلام لهذه الحياة معالم ، وأرسى لها قواعد ، فدعا كلا الطرفين الى أن يعامل كلا منهما الآخر بالحسنى ، لأن الحسنى فوق العدل ، وهو عطاء دون انتظار الرد ، وغفران لما يبدر من سيئات قبل أن يطلب المسىء الصفح .

ولا تبدأ هذه المعاملة من لحظة بدء الحياة الزوجية ، بل تبدأ من قبل هذا ، فالمعاملة الحسنة تبدأ من لحظة التقدم بالخطبة ، حيث ينبغى على الرجل أن يظهر ما يدل على أنه راغب فيها ، وما يشعرها بأنه يحبها ، وما يؤكد لها أنه على استعداد لأن يقدم لها ما يسعدها ، ويتمثل ذلك فى تقديم الهدايا لها .

● هل معنى ذلك أن الهدية علامة الحب ؟ .

— نعم ، وهى وسيلة أيضا الى غرس بذور المودة ، وتوطيد العلاقة الحسنة بين المحبين .

● اذن ، فكلما ارتفعت قيمة الهدية ، كلما دل ذلك على زيادة فى الحب !

— لا .. ليس الأمر كما تصورت الا بين الماديين الذين يجرون وراء المنافع المادية ، والعلاقة التى تقوم على تبادل المنافع المادية هى علاقة واهية سرعان ما تنهار لأدنى سبب ، وتنقلب الى عداوة عند أول عقبة فى الطريق . أما العلاقة الروحية . وهى العمود الفقرى للعلاقة الزوجية ، فلا يدخل فى حساب أحد الطرفين أية منفعة مادية .

● ما فائدة الهدية اذن ؟

— فائدتها أنها رمز فقط على ماعند مقدمها من عطف ومودة للمهدى له . وهى تؤدى مهمتها ، حتى ولو لم تساو سوى بضع مليمات ، لأن العبرة ليست بالقيمة ، ولكن بما ترمز اليه ، ولذا قال رسول الله ﷺ : « التمس ولو خاتما من حديد » .. فلو سادت هذه الروح بين الخطيب

وخطيبته ، فقدم لها ما يشعرها بأنه يحبها ، وتقبلت هى هـذه الهدية ، وأدركت مغزاها دون النظر الى قيمتها المـادية ، لكانت مقدمة حياتهما الزوجية قائمة على أساس متين ، ويكون قد أدى ما عليـه من واجب فى هـذه الفترة ، الأمر الذى يجعل ارساء قواعد الحيـاة الزوجية مؤسسا على أرض صلبة متينة ، ثم تبـدأ بعد الدخول بها سلسلة من الواجبات التى ينبغى على الرجل أن يقـوم بها حتى تسـير الحياة الزوجية سـيرا حسنا وهى :

أولا : اعداد بيت الزوجية اعدادا يليق بمقام الزوجة ، بحيث لا تشعر بأنه أقل من بيت أبيها .

ثانيا : الانفاق عليها من غير تقتير ولا حرمان .

● ما الحكم فيما لو كان الزوج غير قادر ؟

ـ اذا كان الزوج غير قادر فلا حرج عليه ، وينبغى على الزوجة ـ ان كانت تحب زوجها وترعى حق الله ـ أن تقدر هـذه الظروف ، وترضى بما يقدم لها ، مادام قد بذل أقصى جهده ولم يقصر فى شىء وذلك امتثالا لقول الله تعالى : **« أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن »**[1] ..

وقوله تعالى : **« لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسـا الا ما آتاها ، سيجعل الله بعـد عسر يسرا »**[2] ..

● أليست هـذه الآية فى المطلقة ؟

ـ اذا كان هذا أمر المطلقة ، فمن باب أولى من كانت تعيش معه فى بيت واحد وتحت سقف واحد ، أليس كذلك ؟ .

● بلى ..

ثالثا : المعاشرة الحسـنة ، امتثالا لقوله تعـالى : **« وعاشروهن بالمعروف »**[3] ..

---

(١) الطلاق : ٦ .
(٢) الطلاق : ٧ .
(٣) النساء : ١٩ .

فكلمة « المعروف » فى الآية تعبير عام يندرج تحته كل ما من شأنه أن يكون حســنا ، ويدخل السرور على قلبها ، سواء أكان ذلك متعلقا بالبدن كالطعام والكساء ، أو بالنفس والروح ، وذلك بخلق الجو النفسى الملائم لها ، حتى لا يصيبها الملل والكآبة فى حياتها ، ويدخل فى ذلك أيضا حق المعاشرة الزوجية ، فينبغى على الرجل ألا يحرمها أيضا من هــذه الناحية حتى لا تتضرر •

رابعا : أن يعلمها الفرائض الدينية ، ويثقفها بما تحتاج اليه فى تربية أولادها ، وفى سلوكها مع الآخرين • فان فرط فى تعليمها الفرائض ، فقد أثم ، وان أهمل فى تعليمها قواعد السلوك العامة فى المجتمع ، فقد فرط فى حقها وحق أولادها ، أما فى حقها فهو مسئول عنها والاهمال فى تعليمها ذنب ، وأما فى حق أولاده فلكونها لن تستطيع ــ بعد أن أهمل تعليمها ــ تلقينهم شــيئا ينفعهم فى السلوك الاجتماعى • ولذا فتعليمها يعود عليــه بالنفع ، وهو الثواب من الله ، وعدم الحرج أمام الناس لأنها ستتصرف طبقا لمــا لقنها ، وضمان لتربية الأولاد تربية صالحة •

خامسا : اعطاؤها حرية التعبير عن نفسها ، ليشعرها بكيانها ، ويعلمها أنها مسئولة أيضا فى الحياة مسئولية لا تقل عن مسئولية الرجل ، وبذلك يسعدان فى حياتهما معا ، ويكونان قادرين على تربية أولادهما تربية صالحة تسهم فى بناء المجتمع بناء سليما •

وهنــاك الكثير من الأمور التى يجب على الرجل تنفيذها فى بيته ، ولكن يكفى ما ذكرته لك من الأمور الأساسية نظرا لضيق الوقت •

● أراك ركزت على واجبات الرجل •• ولم تذكر شيئا من حقوقه ؟ •

ــ هــذا موضوع حديثنا المقبل ان شاء الله •

* * *

١٥ ــ حقــوق الزوج

وعدتك فى الأســبوع الماضى بالحديث عن حقــوق الرجل على زوجته ، وأرى أن ألفت نظرك بادىء ذى بدء الى ناحية هامة ينبغى أن تعيها ، بل يجب على كل زوج وزوجة أن يضعها نصب عينيه ، ألا وهى التفريق بين انســان يعمل عملا لأنه واجب عليه ازاء الآخر ، وانســان آخر يحرص على أن يعمل ما يرضى الطرف الآخر بصرف النظــر عن كونه واجبا أولا ، فمما لا شك فيه أن عمل الثانى يحمل معنى كبيرا ، ويفصح عن نوع العلاقة القائمة بين الاثنين ويترجم عن معان لا يستطيع اللســان أن يفصح عنها • وقد عبر القرآن الكريم عن هــذا الجانب أبلغ تعبير حيث يقول الله تعالى : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة** »(١) •

فالتعبير بالســكن ، وهو الهدوء والراحة والاستقرار ، يصــور ما ينبغى أن تكون عليه الحياة الزوجية من حب ورحمة وهدوء واستقرار ، ثم ان قوله تعــالى : « **وجعل بينكم مودة ورحمة** » تعبير عن أســمى مراحل العلاقة الانســانية ، تلك العلاقة التى لا تحــكمها قوانين ، ولا تنظمها واجبات وفروض ، وانما هى فوق هــذا كله ، فوق القانون ، لأن القانون ينفذ تحت عصــا الرهبة والخوف من العقــوبة ، وفوق الواجبات والفروض ، لأنها تدفع من يلتزم بهــا بدوافع خارجية ، أما المودة والرحمة ، فهى نابعة من داخل الشخص نفســه ، توجهه الى التصرف ازاء الآخر بدافع وجدانى ، لا يخاف عقابا ، ولا يرجو ثوابا ، وانما يشبع رغبة ذاتية عنده . وهى حب الطرف الآخر ، والحرص على عدم ايذائه ، وتلك هى العلاقة التى ينبغى أن تكون بين الزوجين ، وهى التى عبر عنها القرآن فى قوله تعالى : « **وجعل بينكم مودة ورحمة** » ••

● أراك أسهبت فى تفسير المعنى الروحى الذى يجب أن يسود العلاقة بين الزوجين ، ولكن الحياة علمتنا أن الأمور لا تسير كما ينبغى لها أن تكون ، وأن طباع الناس مختلفة ، وأن الخير تقابله عقبات ، وأن أهل

---

(١) الروم : ٢١ .

السوء يميلون بطبيعتهم الى تمزيق حبال المودة بين الناس ، ولهذا أريد أن تذكر لى بعض الحقوق التى يجب على الزوجة أن تؤديها لزوجها حتى وان غابت المودة ، وتقطعت وشائج الرحمة بينهما .

— ان ما يجب على الزوجة عمله للزوج كثير ، ولكنى سألخص لك ذلك فى نقاط رئيسية .

أولا : الطاعة ، اذ ينبغى عليها أن تطيع زوجها فى كل ما يأمر به ، مادام لم يخرج عن أوامر الشرع .

ثانيا : ألا تغادر منزلها الا باذن منه .

● فان منعها من الخروج للعمل ، فهل تطيعه أيضا ؟

— نعم .. مادام سيتكفل بالانفاق عليها وعلى أولادها .

● فان لم تطعه ، وخرجت من المنزل بغير اذنه ، أو استمرت فى عملها فما الحكم ؟

— الحكم أنها امرأة خارجة عن طاعة الزوج ، وهذا أمر يخول له ألا يقوم بواجبه نحوها .. أى أنه لا يلزم بالانفاق عليها .

ثالثا : أن تحسن القيام بمهامها كزوجة ، فتحسن رعاية زوجها فى ماله ، وفى عرضه ، وفى نفسه ، فقد روى عن رسول ﷺ أنه قال : « ان خير نعمة على العبد بعد تقوى الله امرأة صالحة ، ان نظر اليها سرته ، وان أمرها أطاعته ، وان تركها حفظته فى دينه وعرضه وماله » ..

فان أحسنت المرأة معاملتها للرجل دخلت الجنة ، فقد روى عن أم سلمة — رضى الله عنها — أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة » ..

وان لم تقم بهذا الواجب ، استحقت غضب الله عليها ، فعن أبى هريرة — رضى الله عنه ، أنه قال : قال رسول الله ﷺ « اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فأبت أن تجىء ، لعنتها الملائكة حتى تصبح » ..

فمن واجب الزوجة أن تحافظ على زوجها ماديا ، وألا تأتى من الأعمال ما يتعبه نفسيا ، ولقد ضربت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما المثل الأعلى فى الحفاظ على شعور زوجها ، فقد روى أنها تزوجت

الزبير وهو فقير ، فكانت تجهد نفسها معه لمواجهة أعباء الحياة المادية ، وحدث يوما أن كانت عائدة من أرض للزبير ، وهى تحمل النوى على رأسها ، فقابلها رسول الله ﷺ فى الطريق مع نفر من أصحابه ، فأراد أن يركبها خلفه ، فأبت استحياء من الذين كانوا معه مراعية فى ذلك شدة غيرة زوجها الزبير ، ولما عادت الى البيت ، ذكرت ذلك للزبير ، فقال لها : « والله لحملك النوى كان أشد على من ركوبك معه » ..

فانظر كيف أدركت أسماء طبيعة زوجها ، وسبرت أغوار نفسه ، فعلمت شدة غيرته ، فلم تألوا جهدا فى المحافظة على نفسيته ، فاستحيت أن تركب خلف رسول الله ﷺ وهو زوج أختها ، استحياء من الرجال الذين كانوا معه ، ومراعاة لشعور زوجها الذى لم يكن معها فى ذلك الوقت .

ان مراعاة شعور الزوج ، والمحافظة على كل ما يملك من العوامل الأساسية التى تساعد على نجاح الحياة الزوجية ، وحفظها من العواصف المدمرة ، وتهيئة الجو الملائم والمناخ الطيب لحياة سعيدة .

وفقنا الله واياكم الى ما فيه السعادة والهناء .. انه سمع مجيب .

* * *